

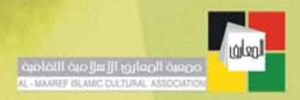
سلسلة أمراء النصر والتحرير

قصة الإستشهادي البطل

علي أشمر











وللعيد طعم اَخر



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

لبنان - بيروت - المعمورة

تلفاكس: 01/471070

ص.ب.: 25/327-24/53

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

❖ **عنوان المسابقة :** أفضل قصة إستشهادي.

❖ **عنوان القصة :** وللعيد طعم آخر.

❖ **الكاتب :** فاطمة القرصيفي.

❖ **الرعاية :** بلدية النبطية.

❖ **المنظم والناشر :** جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

❖ **الطبعة :** الأولى ـ شباط ٢٠٠٨م.




بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الفدائي الأول في الإسلام.

إلى قمر عانق أحد عشر كوكباً

أناروا أغلى تاج على رأس

أجمل الأمهات...

وللعيد طعم اَخر

ـ المقدمة ـ

ما زال ذلك الصوت الساحر في وجداني، كثيراً ما يملي عليَّ قيامي أو قعودي. بقائي أو ذهابي.

كان إنساناً عادياً أو طيف ملاك؟ وردة برية في شعاب قريتنا أم قمراً أراد أن يرسل كل أضوائه في لحظة واحدة ودفعة واحدة لتكون قريته ذلك الشذا المنبعث من حنايا طهره الذي ما زال القرويون يسألون عن كيفية انتشاره فوق تلك التلال والوهاد؟ كان صدى صوته قد أعطى كل أعشاب البريّة وكل طيورها شيئاً من نكهته القريبة حتى لقد غدى أسطورة يصدقها الناس في العديسة، ولا يصدقونها!

ما ذلك السر العجيب الذي جعل من قريتنا الوادعة أمًّا لكل القرى، صوتاً، ودمعة، وترنيمة انتصار.



وللعيد طعم آخر

العروج إلى الفردوس

أختي...

إذا يممت وجهك شمالاً أقرئي والدتي عني السلام، وقولي لها: وصل «علي» حاملاً أغلى هدية.

استرقت إحدى صبايا العديسة حضور زفاف القمر الذي لم يُدْعَ إليه أحد، وشاء القدر أن تكون الشاهد الوحيد حامل الوصية.

استقر القمر رمق المنطقة بعيني الملاك الظافر قائلاً، ثلاثة أيامٍ سِرْتَ يا «علي» لكنّك وصلت.

إيه. الحمد للّه...

تنهَّد تنهيدة عميقة، وضع يداً على ظهره وأخرى على صدره، ستيرتاح يا علي، وأسند ظهره إلى شجرة زيتون دقائق قبل أن يسمو به حمله ويحلّق في الأعالي. أخرج خارطة من جيبه نظر إليها ليتأكد.

رسم الخارطة. (مستوطنة مسكاف عام)[1].

أشكرك يا رب. لقد وصلتُ حقاً.

(١) خارطة تمثل موقع العملية الاستشهادية.

وللعيد طعم آخر

بينما كان يَدخل الخارطة في جيبه، فوجئ بحركة حوله تحقق منها فإذا هي فتاة من فتيات العديسة، نهضت من بين أعشاب الربيع الخضراء تحمل مجموعة أزهار تمسكها كمن يقبض على جوهرة ثمينة. تقدمت منه بخطوة طفولية بريئة، حيّته بتحية الإسلام.

- وعليكِ السلام يا صغيرة.

سألته:

- من أين أنتَ يا أخي؟

أجابها بسؤال:

- من أين أنتِ يا أختي؟ ولماذا أنتِ هنا؟

ردّت عليه بإجابة أثارت ناراً في قلبه.

أنا من هنا من العديسة، خرجت لأجمع باقة وردٍ أقدمها لأمي في عيدها.

ثم عادت وسألته:

- من أين أنتَ لم تجبني؟ ولم أنتَ وحيد هنا؟

- لا تهتمّي لأمري يا أختي، لكنّي أريد أن أسألك... ما اسم هذه المنطقة تحديداً؟

- قلتُ لك إنها العديسة، وهذه الناحية بالذات تسمّى: «مثلث العديسة رُب ثلاثين».

عندها تمتم علي قائلاً: إنها هي. لقد وصلت يا علي. ثلاثة أيام[1] اختصرت مسافات وسنوات، إلهي أسألك المدد، يا صاحب

---

(١) العملية الوحيدة الراجلة إذ استغرق سيره ثلاثة أيام، يسير ليلاً وينام نهاراً.

الزمان اعنّي، وسجد شكراً لله.

وقف يتأمل.

أثار «عليّ» بحركاته فضول الصغيرة، فوقفت تتساءل!.

ـ تُحدّثُ نفسك يا أخي؟

ـ لا، لا، لا شيء.

انتبه أنها لا تزال بقربه.

ـ أعني أنني أبحث عن هذه البقعة من الأرض لأجمع باقةً للعيد أيضاً.

ـ ألم تجد هدية لأمك فأتيت إلى هنا؟!

ـ لا وجدت الكثير، لكنّي أفضّل أن تكون الهدية زهرةً بريةً من أرض العديسة.

ـ خذ، لك هذه. وأجمع أنا غيرها.

ـ شكراً لكِ يا أختي، لكنَّ باقتي غير الباقات.

وبدأ يناجي نفسه، منذ سنوات وأنا أبحث عنك بين الركام وضلوع الأرض والأشلاء في دفاتر الأيام، ألتمس وداعتك على صفحة هذا السهل، أقرأ صبرك وصمودك أمام الملمات على هذه التلّة.

طفت باحثاً عنك فوجدتني راية مغروسة في قريتي، عثرتِ عليَّ سالكاً طريق الوصول إليكِ ماضياً على لجّةٍ من دم وفرح في «رب ثلاثين».

أمي... ماذا أهديك في العيد؟!

وللعيد طعم آخر

هل أعيد تلاوة القرآن وأتهجّى حروف الوجع في سطور جبينك... ماذا أشتري...؟!

في وطني البيع غير البيع والشراء غير الشراء... فالباعة عندنا لا يبيعون الأحلام والكرامات ولا هم من عباد الذهب والفضة.

أمي...

ما زلت أرتق ثوبك العتيق، أقتلع الشظايا عن وجه منديلك أمسح بكف الجفن فوهة بندقية لا تصدأ.

أثقله حمله الذي لم يشعر به لثلاثة أيام مرّت، فجثم على الأرض أخذ حفنة من ترابها يشمها تارة ويضمها أخرى كمن يعانق عزيزاً.

عاين أرض العديسة آخذاً يمينه إلى صدره يمد الأرض بيساره ويجول بنظره في سمائها وجبالها؛ كل ذلك والفتاة واقفةٌ تنظر إليه مستغربةً لما تراه.

قبَّل ما أخذه من ترابٍ شمَّهُ، وذرَّهُ على الأرضِ.

إيه... طال الشوق إليكِ.

حنانيك يا أرضي، ضميني إليك أغفو على صدركِ، ضميني أناغي عبير زهر نوَّر في ربوعكِ، دعيني أرتوي زلالاً من عيونكِ الخلاَّقة. أحضني فتاكِ بين ذراعيك ليستيقظ النيام ولا تيأس الأمم.

جذبته زهرة دحنون[1] اهتزَّت بين رفيقاتها من لمسات حبات

(١) زهرة شقائق النعمان يسميها الجنوبيون (دحنون).

التراب، أمسكها بين أصابعه، خاطبها: ما أجملك! زهرة حمراء توسَّطت راحةً غضَّةً بيضاء طاهرة. ما أجملها وقد وشمت اخضرار الأرض بيواقيت تمجد الخالق المبدع.

بينما «عليٌّ» يناجي زهرة الدحنون وإذا بهدير قوي يقترب من المنطقة، فعلا صوت جهاز اتصال كان يحمله.

- أين أنت يا «علي»؟! صرخ المنادي.

- علي...! علي...!

العقرب يقترب منك، صار عند جُب البلاّنة، إعتنِ به.

الجهاز يناديه بينما هو يصلي شكراً للّه على توفيقه بالدورية.

في تلك الأثناء ابتعد العقرب، فعلا صوت المنادي مجدداً يسأله ملهوفاً:

- ما بك يا «عليّ»؟! أقعدك الخوف!؟

هل غيَّرت رأيك؟ ما الأمر؟!

«اللهم صلِ على محمد وآل محمد، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته».

ختم «علي» الصلاة وبكل اطمئنان وتسليم، حمل الجهاز ليجيب.

- لا تخف، لم أغيِّر رأيي لكنّي كنت أصلي.

- تقبَّل اللّه منك. لكن العقرب ابتعد والساعة قاربت الخامسة إلاّ ربعاً[1]. ماذا أصابك؟!

(١) وقت تنفيذ العملية، كان في الساعة ٤,٥٠ تماماً.

أجابه عليّ بصوت ملائكي مطمئن.

- فلتكن ثقتك بالله كبيرة، سيعود بإذن واحدٍ أحد.

عند ذاك قاطعه المنادي صارخاً:

- لقد عاد، لقد عاد، إهتم به. نسألك الدعاء وإلى لقاء قريب.

هدير الآليات يعلو، الضجيج ملأ المنطقة، و«عليٌّ» مطمئن. سمت روحه نحو الفردوس وجسده ينتظر الصعود.

كل ذلك والفتاة تراقبه باستغرابٍ، ويدها مطبقة على باقة الورد.

توجه إليها سائلاً:

- لماذا لا تزالين هنا؟

أجابته بصوت طفولي بريء:

- لا أعرف، لكن لا يهمك، المنزل قريب.

- أختي إرجعي بسرعة إلى منزلك، وأوصيك: «إذا يممت وجهك شمالاً صوب بيروت إذهبي إلى روضة الشهيدين، وأقرئي والدتي عنّي السلام وقولي لها: وصل علي حاملاً أغلى هدية».

وصرخ:

- أهربي بسرعة، أركضي يا أختي...

ودوَّت صرخةٌ هزت الآفاق.

الله أكبر

صرخةٌ هزّت الآفاق فَفُتحت أبواب الفردوس للقمر ووُديان النيران للمحتلّين. وعلى الأرض علا صراخ الباقين وعويلهم. وما

هي إلاّ دقائق حتى ملأت الطوافات العسكرية أجواء العديسة لإخلاء الإصابات.

عانق المشتاق أرضه، مرّغ خده بخدّها لثم وجنتيها، إلتمس الطهر والصفاء من جبهتها، ارتمى بين أحضانها ملوناً وسادة من دحنونها فارتقى نحو العُلى علياً شامخاً يرسم اسمها بين النجوم.

آه ما أغلاكِ!...

إستيقظ في العشرين من شهر آذار عام ١٩٩٦ ربيع العديسة، وعلى غير عادته بكَّر يوماً.

أطلَّ القمر على العديسة، وهب زهيراتها أريجاً وحمرةً خلاّبةً فأعلن الدحنون عصيان فصل الربيع على فصول السنة، إذ رسم «عليٌّ» للعيد وجهاً آخر.

لكن يمينه بقيت على الأرض[١]!!!

نعم بقيت يمينه مرفوعة بين زهيرات الدحنون تعلن لا، لا، لن تمروا. ترسم نهجاً ومسلكاً وشعاراً للشرفاء.

بكَّر فجر الربيع، اكتملت حبات العقد الثلاثة عشر[٢] بقمر يرصع تاج الكرامة على رؤوس الأباة.

عشرون عاماً كافية للوصول إلى الحلم يا «عليّ».

لا... لن تمرّوا...

... صرخةُ رفضٍ ترجَّع صداها في العديسة من شهر آذار ١٩٩٦ إلى شهر تموز عام ٢٠٠٦.

---

(١) تشظى جسد الشهيد وبقيت ذراعه اليمنى. دفنت مكان العملية وأقيم مكانها نصب للشهيد.

(٢) سلسلة الاستشهاديين الثلاثة عشر من أبطال المقاومة الإسلامية.

وللعيد طعم آخر

... ارتفعت يمينه تشير لإخوانه وكأنها تخاطبهم سدّدكم الله أحبائي. صَغُرَ طواغيت الأرض تحت أقدامكم.

اصمدوا...

... أيام مرّت قاسية على لبنان من جنوبه إلى شماله.

تشابهت ليالي تموز وآب بأيامهما على مدى أربعة وثلاثين يوماً.

اجتمعت عدة نساءٍ صامدات من نساء العديسة كغيرهن من أهالي قرى الصمود المتاخمة لحدود فلسطين المحتلّة في منزل إحدى العوائل الصامدة.

- والآن ألا تردن الخروج إلى صيدا؟

بدأ الشهر الثاني على العدوان والله أعلم كم تطول هذه الحرب. قالت الحاجة أم محمد.

- والله يا خالتي يوم المعركة القوية في «بنت جبيل»[1] لم نترك البلد مع أنها محور. لن نتركها يا خالتي!

أجابتها زهرة ابنة الحاجة أم علي.

هنا تدخلت الحاجة أم علي قائلة: إفعلن ما يحلو لكنّ. عند أي هدنة إذهبن إلى صيدا إذا سمحت الظروف. أما أنا وابنتي زهرة فلن نخرج ما دام «عليٌّ» وإخوانه صامدون.

لا، لا، لن أترك العديسة...

... خجلت أم محمد من صمود الحاجة أم علي، فقررت البقاء

(١) ملحمة بنت جبيل الصامدة في ٢٦ - تموز - ٢٠٠٦.

ورفيقاتها. تقدمت وقبلت أم علي على رأسها قائلة: معك حق، «منقعد في بيت المونة هون، شو نسوان النبطية أقوى منني».

عند ذاك تدخلت زهرة رافعة يمينها تقول: والله لن تخرجن من هذه الغرفة إلاّ مزغردات للنصر بحق محمد وآل محمد كما قال السيد «النصر آت».

تضرعت النسوة إلى الله بالدعاء «الله يحميه وينصره على من يعاديه، يا رب».

انهمرت الدموع من مآقيهن وارتفعت أصواتهن بالدعاء، «يا ناصر الستّة على الستّين، انصر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وسلّمهم لأمهاتهم يا رب العالمين».

جلسن الحاجات يتبادلن الأحاديث على وقع القذائف والإنفجارات وكل تحلل بحسب نظرتها للوضع.

توجهت إليهن زهرة بسؤال:

- هل تردن أن أخبركن ما الذي جعلنا نأخذ قراراً بعدم الخروج؟

- أجل يا زهرة، أخبرينا.

- يمين مقاوم تماهى ذراتٍ نحو الجنان، بقيت على مدخل البلد شاهرة «لا» في وجه الأعداء. رحمة الله عليه إنه القمر.

- عمن تتكلمين يا زهرة، وهل شبّان المقاومة إلاّ أقمار؟!

- لا شك في ذلك يا خالتي. لكنه قمر العديسة الذي حَضَرْتُ زفافه. إذا خفّت حدة المعارك والقصف هذه الليلة وبعد قراءة الدعاء تخبركن والدتي «قصة القمر».

وللعيد طعم آخر

... سكن الليل، هدأت أصوات القذائف قليلاً، لكنّ النوم جفا مآقيهن، فطلبن من الحاجة أم علي «قصة القمر» التي استثارتهن زهرة لمعرفتها.

- بسم اللّه.

... أطلّ القمر على العديسة في العشرين من آذار عام ١٩٩٦، ولم يغبْ حتى اليوم.

كان يومها عمر ابنتي زهرة عشر سنوات، وأصرّت على شقيقها «علي» أن يصحبها إلى صور أو بيروت لكي تشتري هدية لي في عيدي، فلم يتيسَّر الأمر.

ذلك اليوم وبعد عودتها من المدرسة قالت لي: اسمحي لي يا أمي أن أذهب إلى السهل لأختار لك هدية.

لكن لو تعلمن كيف ذهبت وكيف عادت.

- ماذا تقصدين؟!

- أقصد أنها عادت تملك إصراراً أكبر على الذهاب إلى بيروت ولكن لغرض آخر.

- غرضٌ آخر؟ ما هو؟

- إيصال هدية لأم القمر في عيدها.

بعد أن خرجت زهرة يومها ببعض الوقت سَمِعْتُ دوي انفجار قوي في السهل، لم آخذ به، فقد اعتدنا سماع مثله، ولم أكن أتوقع أنها وصلت إلى المفرق. لكنها عادت مع هدير الطوافات العسكرية مذعورة باكية. رمت بنفسها على صدري تبكي وتقول «كل عام وأنت بخير يا أمي، إقبليها من اليوم».

اليوم تعلّمت عناق الأم، وعرفت معنى العيد يا أمي.

- ألم تسمعي صوت الإنفجار يا أمي.

- سمعته ولكن مالك وللإنفجار؟ كان على مفرق البلد، تحت عند المثلّث؟!

- أعلم فقد كنت هناك.

- كنتِ هناك!! صرخت.

بدأت أقبلّها، أشمّها، وأقول لها الحمد للّه على سلامتك يا زهرة، لماذا وصلت إلى هناك؟

- لأحمل أمانة لأم القمر.

- ماذا؟!

- كنت أطوف السهل يا أمي لأجمع لك باقة للعيد فوجدت من علّمني طعماً آخر له، وكيف يكون عناق الأم، أقسم باللّه يا نسوة أنني لم أفهم حرفاً مما قالته زهرة، وصرت أنظر في وجهها مستغربة نضجها السريع.

عانقتني، بكت تتوسل إليّ لآخذها إلى بيروت في اليوم التالي لتوصل الأمانة. وعلا بكاؤها.

قلت لها: عهداً لك إذا كانت الأوضاع مستقرة فسأصحبك غداً إلى بيروت وتنفذين ما تريدين.

- أفصحي يا حاجة ما القصة؟!

- القصة أنها أثناء جمعها باقة زهر من السهل صادفت شاباً في مقتبل العمر، علمت في ما بعد أن اسمه «علي منيف أشمر» والده

وللعيد طعم آخر

أصلاً من أهالي العديسة، لكنهم تركوها منذ مدة طويلة وعليّ لا يعرفها لأنه لم يعش فيها.

لكن «علياً» حمل هم احتلال أرضه وحمَّل نفسه عبء تحرير أرضه ودحر المحتلين. فقد وصل ساعياً راجلاً إلى مثلث «العديسة - رب ثلاثين» لينفذ عملية استشهادية هي الأولى من نوعها.

وضع حِمْلَهُ وحمَّل زهرة أمانة تبلّغها لأمه في روضة الشهيدين.

- هل هو ابن ناطور الروضة؟ سألت إحداهن.

- لا إن والدته مدفونة هناك.

- رحمة الله عليها.

- له الحمد فقد وفقنا لإيصال الأمانة صباح العيد.

لتنضج البنت تحتاج لسنوات من التوعية والإرشاد، لكن زهرة نضجت بعد نزهة ربيعية قصيرة. ليس ذلك بغريب فأنوار ثلاثة عشر قمراً أنضجت أجيالاً بأكملها.

كل عام وأنت بألف خير يا أجمل الأمهات

الزمان: ٢١ آذار ١٩٩٦.

المكان: ضاحية بيروت الجنوبية.

رافق ناطور روضة الشهيدين امرأة في العقد الرابع من عمرها، وابنتها ابنة العشر سنوات إلى ضريح والدة الشهيد «علي أشمر». توقف بهما أمام ضريح محاط بالأشجار وأحواض الورد في روضة من جنائن الأرض كتب عليه:

الفاتحة
ضريح المرحومة الحاجة (دلال سلطان)
زوجة الحاج منيف أشمر
توفيت في ٢١ آذار عام ١٩٨٦

لم تكد الحاجة أم علي تكمل قراءة ما كتب على الضريح حتى رمت زهرة بنفسها عليه بطريقة أثارت استغراب والدتها فهي لا تعرف المرحومة وليست من أقربائها.

وضعت زهرة خدها على الضريح أمسكت بيمناها حافته قابضةً على باقة ورد صغيرة ويسراها تمسك بحافته اليسرى.

تبلّغ شوقاً قرأته في عيون «عليّ» حين التقته. شرعت تقبِّل الضريح تارة وترفع رأسها أخرى تخاطب ساكنته بصوت طفولي بريء يقول لك عليّ كل عامٍ وأنتِ بألف خير، لقد وصَلَتُ... حاملاً لك أغلى هديةٍ. وتقاطرت دمعاتها البريئة على رخام الضريح. وتنهدَّت بعمق.

حاولت والدتها رفعها عن الضريح فلم تستجب في المرة الأولى، لكنها لم تلبث أن قامت، وضعت باقة الورد الصغيرة عليه وقالت يا والدة الشهيد هنيئاً لك. أعذريني ذبلت الزهرات، إقبليها منّي، إنها من المكان الذي استشهد «علي» فيه. جمعتها قبل استشهاده بدقائق.

ـ آجركِ اللّه يا زهرة. قومي لنقرأ الفاتحة وننطلق إلى منزل والد الشهيد.

فتمت الحاجة أم علي الزيارة بالسلام.

ـ السلام عليكم يا أهل لا إله إلا الله، أسكنكم الله فسيح جنانه.

خرجتا من الروضة وقفتا أمام المدخل لتستقلا سيارة إلى منزل والد الشهيد.

توقفت سيارة مرسيدس بيضاء. سألت الحاجة السائق:

ـ إلى الرويس؟

ـ وين في الرويس؟

ـ حي الأبيض.

ـ تفضلي.

بعد صعودهما إلى السيارة سأل السائق الحاجة: «لوين مشوارك يا خالتي تحديداً».

ـ إلى منزل أهل الشهيد «علي أشمر»، أخبروني أنه في هذه المحلّة، هل تعرفه؟

ـ نعم. نعم.

«رح نزلّك في أول الشارع، البيت ما بضيّع، أظن أنه يوجد فرن في الطابق الأرضي».

صدق السائق لكن ما استهدت به إلى المنزل لم يكن الفرن. كان شيئاً آخر.

المنزل عرّف عن نفسه.

«حي الأبيض» في محلّة الرويس في ضاحية بيروت الجنوبية كان أبيض حقاً.

على مدخل الحي أصدقاء المقاوم من «حزب الله» وإخوانه

نصبوا حواجز محبة على الطريق لتوزيع الحلوى على المارّة والسيارات وبسمات الفرح والاعتزاز لا تفارق وجوههم، والرايات الصفراء زيَّنت المحلّة على طول الشارع.

غطت شرفة المنزل المواجهة للطريق لافتةٌ حمراء تبارك استشهاد القمر.

مدخل المبنى يغصُّ بالوفود المعزية والمباركة. باقات الورد والقرنفل تزيّن مدخل المنزل.

دخلتا إلى المنزل الذي قسم إلى قسمين واحد للرجال وآخر للنساء. دخلت الحاجة أولاً عرَّفت عن نفسها وعن ابنتها. اصطحبتهما إحدى الأخوات إلى الداخل وأفسحت لهما مجلساً.

جاءت أخرى تحمل مصبّ القهوة المرّة، قدمت للحاجة فنجاناً شربته ثم وضعته على طاولة غطَّاها القرنفل الأحمر.

تقدمت إحدى الصبايا لرفعه. شكرتها الحاجة وقالت: «أسكنه اللَّه فسيح جنانه»، رفع رأس أهل العديسة كلهم.

- آجركِ اللَّه يا حاجة. ردَّت الصبية.

- وإياك يا أختي. هل لك أن تعرفينا إلى أهل الشهيد إذا سمحت.

- بكل فخر وسرور يا حاجة. تفضلي.

تقدمت الصبية أمامهما بين صفوف المعزين وقدمتهما إلى أهل الشهيد.

وللعيد طعم آخر

الحاجة «أم علي» وابنتها «زهرة» من العديسة جاءتا لتهنئتكن بشهادة «علي».

- آجركِ الله يا حاجة، رددن عليها.

بدأت التعريف من الخالة. قالت:

- الحاجة أم هادي. خالة الشهيد وأمه.

بتول: شقيقة الشهيد.

فاطمة: شقيقة الشهيد.

حنان: شقيقة الشهيد.

ولعلي خمسة أشقاء هم: عصام - محمد[1] - علي - هادي - مهدي رحّبت بهما الحاجة أم هادي، أجلستهما قربها، أمسكت الحاجة أم علي يد خالة الشهيد، قالت: إفخري يا حاجة بالشهيد فحي يذكر اسمه يشمخ لبنان ويسمو، وستعلو أنفاسه على امتداد الوطن أناشيد للحرية. نسأل اللّه أن نهتدي الطريق الذي سلك.

مسحت الحاجة أم هادي دمعة ترقرقت في مقلتيها. حمدت اللّه قائلة:

- إنه شرف كبير يا حاجة لكن فراق الهادئ الحنون صعب.

- اللّه يتقبَّل منكم. وخنقتها العبرة.

هنا تدخلت أخت الشهيد وبصوت متهدج قالت:

- «عليّ»... حبيبي يا أخي. رحلتَ باكراً لم نتزوّد منك. إيه... ماذا أخبرُكِ عنه.

(١) استشهد بعد أخيه الشهيد علي.

فارس منذ الصِّغر، وثب من كشافة الإمام المهدي (عج) إلى الحوزة ثم إلى التعبئة العامة حتى استقر به المسير، واشتعل قلبه بعشق الخالق فوهبه الله كمال الانقطاع إليه ومضى بالعقيدة والعشق للجهاد في طريق السالكين إلى الله في طريق الثورة والفداء.

نحمد الله ونشكره. هنيئاً له الواصل الأول.

مسحت الحاجة أم علي دمعات بتول وقالت لها: هنيئاً له ولإخوانه رفعوا رأسنا عالياً، وترينه اليوم رفع رأس الوالدة في الآخرة كما رفع رؤوسكم في الدنيا.

وختمت: الفاتحة إلى روح الشهيد.

والآن أستميحكم عذراً يا حاجة أم هادي سنترككم لأن مشوارنا بعيد، لكن لي عندكم طلب.

آجرك الله يا حاجة. أطلبي.

نود مقابلة والد الشهيد، نريد الحصول على هذا الشرف.

قالت أخت الشهيد: يسرّنا ذلك. وطلبت من إحدى الصبايا المضيفات مناداته.

خرجت إحداهن، نادت الحاج أبو عصام.

أطلّ من أول الممر رجل وسيم الطلعة، نوراني الجبهة، حنطي السحنة، يتقدم بخطوات ثابتة رصينة مرفوع الرأس وقف عند باب الغرفة سلّم على الحاضرات.

تقدمت منه الحاجة أم علي. قدّمت نفسها وابنتها، جئنا من

العديسة نبارك لكم نتشرف بمعرفتكم، ونوصل أمانة إلى أم الشهيد.

كرر الحاج منيف اسم قريته بآهة مزّقت أحشاءه. وتمتم سبقني علي.

أحسّت الحاجة بألمه فقالت له: سامحنا يا حاج أزعجناك لكننا لا نستطيع الانتظار لأن مشوارنا بعيد.

ـ ألستما من سكان الضاحية؟

ـ لا ما زلنا نسكن العديسة. وصلنا اليوم مع شروق الشمس إلى «روضة الشهيدين». نحمده ونشكره فقد وفّقنا لايصال الأمانة، وتشرفنا بمعرفتكم، لكن بقي لي عندكم طلب واحد. سألها الحاج البقاء عندهم والعودة في اليوم التالي إلى العديسة، لكنها أصرّت على العودة في ظل هدوء الأوضاع ووعدته بزيارة أخرى.

طلبت بتول من أبيها الجلوس والحاجة في الغرفة المجاورة لإكمال الحديث. بادرته الحاجة بالقول:

ـ هنيئاً لكم... عظم اللّه أجوركم.

ـ هنأكم اللّه يا حاجة وقرّ عينك بأولادك وأسأل اللّه أن يتقبل منا هذا القربان.

كما فهمت منك يا حاجة أنكما حضرتما لايصال أمانة. إذا احتجتما أي مساعدة فأنا بالخدمة.

آجرك اللّه وساعد قلبك، لقد قمنا بإيصال الأمانة عند وصولنا مع شروق شمس الصباح. فقد كانت لوالدة الشهيد.

تنهّد الحاج منيف قائلاً: رحمها الله.

العام ١٩٨٦ في مثل هذا اليوم توفيت، إذ كان عمر علي وقتها عشر سنوات.

- عرفت ذلك من ابنتي زهرة، وأنها ترقد في روضة الشهيدين[1] فقد ذهبنا وأوصلت زهرة الأمانة.

- لم أفهم يا حاجة.

- القصة يا حاج أبو عصام هي أن «علي» رحمه اللّه صادف زهرة في سهل العديسة لحظة وصوله لتنفيذ العملية، وكانت زهرة تجمع باقة تقدمها لي في عيد الأم فحمّلها أمانة إلى والدته دون أن يخبرها هدفه من الوصول إلى العديسة.

واليوم أتت زهرة تحمل الباقة نفسها وضعتها مع تحيات «علي» على ضريح الوالدة. وبعدها جئنا لزيارتكم، وأريد أن أعود إلى العديسة حاملةً باقة فخر عابقة بمعلومات عن الشهيد البطل من ضاحيةِ العزِّ والإباء.

إيه... أخجل منه يا حاجة، ماذا أخبرك وماذا أُغفل؟! ابن العقدين كان «علي»... لكنه وصل...!!

وما أكثر العقود التي تتحول إلى عقد.

تسامى حب الحسين عليه السلام في قلبه فلم يعد وهم حب، وتسامى أكثر فأصبح أكبر من أن نحيط به، وتعاظم فحمل صاحبه على براقٍ محمدي إلى سدرة المنتهى.

(١) مدافن في ضاحية بيروت الجنوبية.

وللعيد طعم آخر

أبصر «عليّ» النور في ٤ تموز عام ١٩٧٦، في محلة «حولي» في الكويت العاصمة حيث كنا نسكن، إذ تركت لبنان للعمل في الكويت بعد أن ضاقت بنا السبل سعياً وراء الرزق، لكن بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني قدس سره بدأت السلطات الكويتية بتضييق الخناق على كل من تخاف من ميوله، وكنا ممن شملنا قرار الترحيل من الكويت.

عدنا إلى لبنان واتخذنا في ضاحية بيروت الأبيّة مسكناً لنا، لكن هَمٌّ العودة إلى العديسة لم يفارقنا ولا يزال يتأجج في قلوبنا، ولا بد أنه آتٍ بإذنه تعالى.

عملت بالتجارة وبعدها تفرغت للعمل في هيئة دعم المقاومة الإسلامية.

نشأ «علي» الهادئ المؤمن في جوٍّ يعبق بحب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والآل. أشكر الله أن قدرنا على توفيره أنا والمرحومة.

كان رفيقي إلى المسجد دائماً، وكأن الإمام الحسين عليه السلام عرف منه طهارة السريرة وصدق الإصرار ومضاء العزم فأخذ بيده إلى كمال العقل وطهارة الروح... فعزف عن الدنيا وما فيها وتسمَّرت عيناه بلقاء الله تعالى تحت راية الحسين... فقبله...

مضى «عليٌّ» في دربه... وبعد سنتين فقط من وجودنا في بيروت فقد أغلى قيمة في الحياة... فَقَدَ والدته التي أعطته كل حبها وفي الوقت الذي كان يعتقد أنه آن الأوان ليبادلها هذا الحب. لأنه أصبح يملك وعي الحب... وأي حبٍّ أسمى من حب الأم.

لكنها بقيت ترعاه وتتوسل إلى الله بالدعاء له. فقد جاءت إلى بتول (أخت الشهيد) في المنام تريد اصطحابها لأداء فريضة الحج. ذهبت معها، وهناك في البيت الحرام قالت لابنتها: ادع لأخويك علي ومحمد يا بتول.

قالت لي بتول: استغربت الأمر لأنني أدركت في منامي بأنها متوفاة كيف تطلب منّي ذلك. لكنّي سألتها: ماذا تريدين أن أطلب لهما؟

قالت: أطلبي لهما الشهادة فهما يتوقان لها. وأمسكت ستار الكعبة وبدأت تقول: «يا رب إقضِ حوائج علي ومحمد»[1].

رؤيا لسنا تفسيرها اليوم وعرفنا وثاقة الرباط الروحي بين «علي» والملكوت.

ساعدني في عملي كثيراً حيث كنت أعمل في التجارة قبل أن ينهي دراسته في مدرسة المصطفى ﷺ في حارة حريك، ليلتحق بعدها بالحوزة والمقاومة.

عندما كنا نسأله عن عمله في المقاومة يقول: «أنظف المركز وأطبخ للشبان»[2]. وكان يخبرنا دائماً عن طبخة «الرز بحليب» التي لم يوفّق في تحضيرها. فأكلها بمفرده لأنه لم يرضَ تلفها لأنها من أموال المسلمين.

إيه والحمد لله. أفخر بصدقه وأمانته منذ ساعدني في المحل، ولن أنساه ما حييت.

(١) رؤيا روتها اخت الشهيد.
(٢) كلام حرفي للشهيد

وللعيد طعم آخر

قرأت رسالة كتبها لي، عدة مرّات ـ لكن لم أفهمها جيداً ولم أكتشف اللّغز وأصل لفهم القصد. لكنّي بعد العملية الاستشهادية قرأتها مرّةً واحدةً فاجتاحني زهو من نوعٍ آخر وزاد في هذا الزهو بعد معرفتي من إخوانه أنه وقبل انطلاقه لم يكن عنده إلاّ هاجس واحد هو: زيادة وزن العبوة.

«لقد كان لولدي فلسفة عميقة لم أكن لأدركها... لقد رفع رأسي بصدقه وأمانته وبُعْدِ نظره وراحة باله وذكائه. لكنني أعترف أن شموخي الآن هو بفلسفة الدم التي نبتت في كل خلايا عقل ولدي الشهيد. حمد الله، وقال: اللهم تقبّل منا هذا القربان»[1].

ختم ولسان حاله يقول: أنا المسكين... سبقني. لو كنت أعلم لتأملته أكثر، واستنطقته، وناجيته ولم أصرف عيني عنه أجلس الآن متأملاً معاتباً نفسي ساخراً منها.

فقد سبقني لا أدري كيف كان وقع كلامي عليه... وكيف كان يفكر.

لا أدري إن كنت أحسن الحديث عن الإيثار والتضحية والفداء.

أملي أن يذكرني في الآخرة.

إنه الكبير في زمن الصغار. المنتصر في زمن المهزومين.

انتبه الحاج من التفاتة أخذته، حمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

(١) من كلام لوالد الشهيد بعد استشهاده.

وضعت الحاجة حداً لتأملاته فقد أوجع قلبها. قالت: لقد ربيتَ فأحسنتَ التربية...

سيحمل لك الغد مواهب إلهية وعطايا...

إنه التحدي...

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

إستأذنت الحاجة «أم علي» الحاج «أبو عصام» للخروج، ودَّعها، قبَّل رأس زهرة من فوق الحجاب الشرعي وقال أعزَّكِ الله حاملة الأمانة.

وحمّلها تحياته لأهل العديسة وترابها.

إبتسمت الحاجة أم علي بسمة أردفتها بدمعة. وقالت له: أوصلنا أمانةً لأم الشهيد، وحملنا أمانة للعديسة الأم، سجل الشهيد البطل رافع الرأس.

بُنَاةُ حضارةٍ أنتم

اليوم، الزمان يهلّل... وغداً التاريخ يسجل: بناة حضارة أنتم أحبائي...

«... أنتم الوعد الصادق، وأنتم النصر الآتي بإذن الله أنتم الحرية للأسرى والتحرير للأرض، والحمى للوطن والعرض والشرف.

يا إخواني. أنتم أصالة تاريخ هذه الأمة وأنتم خلاصة روحها، أنتم حضارتها وثقافتها وقيمها وعشقها وعرفانها، أنتم عنوان رجولتها، أنتم خلود الأرز في قممنا وتواضع سنابل القمح في ديارنا.

أنتم الشموخ كجبال لبنان الشامخة، العاتية على العاتي والعالية على المستعلي. أنتم بعد اللّه الأمل والرهان... أنتم القادة، وأنتم السادة وأنتم تاج الرؤوس ومفخرة الأمة، ورجال اللّه الذين بهم ننتصر...»[1].

(١) مقاطع من رسالة أمين عام حزب الله لأبطال المقاومة الإسلامية إبان عدوان تموز ٢٠ـ٧ـ٢٠٠٦.